Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلب هذه العَلاَمات من كسوة الشجرة ومزائن أغصانها المعتبرة؛ على أن كل ما يذكر فيها، من بعد ما أخذت غصون المحبة حقها وبينت المعرفة طرقها، إنما هو خيال لا صورة وكمال لا ضرورة. وأن الذي تقدم ذكره فاكِهَةُ طَبَقٍ، وهذا غِطَاءُ حَبَقٍ. وكثير ما بين المشمـوم والمـطعـوم، والأرواح والجسـوم. والسـاكن والمبنى، والـلفظ والمعنى»[12].

إن اختيار ابن الخطيب الشجرة لبناء كتابه على أجزائها جعله يقدم ويؤخر حتى لا يجور على أجزاء المشبه به، ويضيف بعض الـزينات إلى الشجـرة، وإن قال إن المضاف هو: «خيال لا صورة وكمال لا ضرورة»؛ فهل المضاف كما ذكر أو أنه صورة وضرورة؟ للإجابة عن هذا التساؤل يجب النظر في طرفي التشبيه، وخصوصاً المشبه به الذي هو مناط الإغناء أو الإفقار. فقد يجد الناظر ـ أحياناً ـ المشبـه به أخصب وأغنى، فأطباق الأرض رمل وجص وقيموليـا ودَمث وعرار ورخـو ومعدني وصـالح للفلاحة، وأما المشبه فهو أربعة أطباق: طبق القلب، وطبق الروح، وطبق العقل، وطبق النفس؛ على أنه أحياناً يحد من مجال المشبه به ليتلاءم مع عناصر المشبه. وهكذا، فإن النفس المطمئنة، والنفس الأمارة، والنفس اللوامة تطابقت مع الأرض المعمـورة بـالفلح، والأرض ذات الحجـر الصلد، والأرض الصـالحـة للفـلاحـة والاعتمار. ويظهر من هذا أن المؤلف كان يضيف عناصر جديدة للشجرة وللأرض حتى يستوعب ثراء المشبه، حيناً، ويختزل المشبه به ويقلصه ليتلاءم مع ما لديه من عناصر المشبه حيناً آخر.

4 ـ التوظيف الايديولوجي ـ السياسي للتطابق:

استقى ابن الخطيب مَوَادَّ مُمَاثَلاَتِهِ ومُشَابَهَاتِهِ من مصدرين أساسيين هما القرآن والثقافة الدخيلة ثم كان ينتقل بين هذين الـطرفين، في معارف عصـره المختلفة، المعارف الإسلامية بما فيهـا من أحاديث وآثـار وأخبار وأشعـار وأمثال وحكـايات، والمعارف العلمية والنفسية والفلسفية الدخيلة. وابن الخطيب لم يكتب كتابه لأجل إطلاع الناس على معلومات فلسفية وغيرها، ولكنه وظف ذلك الشكـل والمضمون لخدمة أهداف سياسية ـ إيديولوجية.

لذلك، فقد يكون من المشروع أن نَتَهَرْمَسَ ونَتفَلْطَنَ للانتقال مِنْ مُمَاثَلَةٍ إلى

(12) ابن الخطيب، روضة (ج: 2، ص 641).